المسرحية الثانية

ديك الجن الحمصي

ملاحظات:

١. المسرحية مكتوبة بحيث تؤدى بالشكل المعروف في الأداء المسرحي، وبحيث تكون مسرحية غنائية.

٢. إذا نظرنا إليها على أنها غنائية نجد الحوار ثلاثة أقسام:

. قسم يؤدى كما يؤدى الحوار العادي.

. قسم يلحّن ويغنى. وتركيب الجمل في هذا القسم يشير بنفسه إلى ضرورة تلحينه.

. قسم القصائد. ومنها يختار الملحن والمخرج ما يراه مناسباً وضرورياً لتلحينه في العرض.

٣. السمة العامة للمسرحية أن تخلق البهجة لدى المتفرج. ومع أن المسرحية تنتهي نهاية فاجعة فإن هذه الفاجعة تشكل تتمة للتوتر الذي يكمل البهجة. ثمَّ تأتي الخاتمة لتترك انطباع البهجة لدى المتفرج.

٤ . ينتج عن السمتين السابقتين أن يكون العرض كله احتفالياً سواء كان عرضاً غنائياً أم عرضاً عادياً.

الشخصيات

١. ديك الجن ٣٥ . ٤٠ سنة
٢. دنيا ٢٥ سنة
٣. بكر ٢٢ سنة
٤. نمرود ٦٥ سنة
٥. أبو نواس ٤٠ سنة
٦. أبو المغيث ٤٥ سنة
٧. ورد ٢٠ سنة
٨ . والي حمص ٣٥ سنة

مجموعة من الراقصين والراقصات . جنود والي حمص . عدد من الملثمين.

المشهد الأول

(المنظر: غرفة جلوس في كوخ في بستان أو في بيت ريفي. ومع أن موجودات المكان ممَّا يوجد في غرفة الجلوس من المقاعد وغيرها من الوسائد والأدوات، فإن المكان يوحي بالواقعية أكثر ممَّا هو واقعي. ويغلفه جو ضبابي شاعري)

(الوقت ليل)

(في طرف المسرح يجلس ديك الجن وهو يعزف على العود ويستعد للغناء أو إنشاد الشعر. دنيا واقفة إلى جانبه تداعب شعره فينظر إليها بحب. الغلام بكر يجلس قربه جلسة تدل على مكانته العالية عند ديك الجن)

(سيف ديك الجن موضوع قربه)

ديك الجن: (يغني أو ينشد من شعره)

وليلةٍ بات طَلُّ الغيث ينسجها

حتى إذا أصبحت أضحى يدبِّجُها

(يصفق الحاضرون طرباً. الخادم نمرود يتقدم نحو ديك الجن حاملاً كأس خمر. ديك الجن يشربه دفعة واحدة ثمَّ يعود إلى العزف. (يقرع الباب قرعاً شديداً. ديك الجن يترك العود بسرعة وينهض ويحمل سيفه مستعداً للقتال)

ديك الجن: (بنزق وعصبية فهو سريع الغضب) افتحوا الباب وابتعدوا.

(يدفع الجميع وراءه ممَّا يدل على قوته البدنية)

نمرود: ليس الطارق من رجال والي حمص يا سيدي. فلا تخف.

ديك الجن: ما أدراك أنهم لم يأتوا للقبض علي؟

نمرود: رجال الوالي يقتحمون البيوت ولا يقرعون الأبواب. (يضحك) أراك هذه الأيام تخاف من الذباب إذا طن حول رأسك.

ديك الجن: نمرود. لا تُغضِبْني.

(يقرع الباب من جديد بشدة)

ديك الجن: من هذا السمج الذي يقطع سهرتنا إذا لم يكن من رجال الوالي؟

بكر: لعله ضيف يطرق بابنا آخر الليل. سأرى من القادم.

(يهم بكر بالنهوض ليفتح الباب)

ديك الجن: (بنزق) اجلس يا بكر. دع القادم ينفلق من القرع حتى يذهب من نفسه.

نمرود: لماذا؟

ديك الجن: لأني لا أريد أن يزعجنا أحد.

نمرود: كان أبوك يحب الضيوف واستقبال الضيوف مع أنه لم يكن كثير الغنى. فلماذا تكره استقبال الضيف القادم؟

ديك الجن: نمرود. ألا تكفيني رؤيتك منذ الصباح حتى تتبختر أمامي في المساء وتعاتبني بأبي؟

(بكر يضحك. يقرع الباب بشدة)

نمرود: سأفتح الباب وأستقبل الضيف. ألا يكفينا أننا لا نخرج من هنا ولا نرى أحداً من خلق الله غيرَ هذه الوجوه الكالحة؟

(يقرع الباب بشدة أكبر)

صوت القادم: افتحوا الباب.

ديك الجن: نحن وجوه كالحة يا نمرود يا أسوأ خادم؟

نمرود: إن كنت أنا أسوأ خادم، فأنت أسوأ سيد.

ديك الجن: (إلى الموجودين) أعطوني سكيناً حتى أبقر بطن هذا الخادم النجس.

(بكر يزداد ضحكاً. ديك الجن يركض وراء نمرود ليضربه. الباب يُقرع أكثر)

صوت القادم: افتحوا الباب. ألا تحبون الضيوف؟

ديك الجن: سأطرد هذا الضيف الثقيل. (إلى نمرود) ثمَّ أتفرغ لك

(ديك الجن يضع سيفه ويحمل عصا قربه ويذهب نحو الباب بغضب ويفتحه. يدخل أبو نواس مباشرة كأنه يقتحم المكان)

ديك الجن: نعم؟

أبو نواس: السلام عليك يا ابن رِغْبان.

(نمرود يتقدم نحو أبي نواس مرحباً)

نمرود: وعليك السلام. أهلاً وسهلاً. أهلاً وسهلاً. لعلك تصطحب معك أهلَك وجواريَك وغلمانك وحاشيتك. منذ زمن طويل لم نر أحداً يزورنا أو يجمِّل سهرتنا.

أبو نواس: (إلى نمرود) سمعت أنك شاب جميل يا ابن رغبان. فمتى صرت عجوزاً قبيحاً؟

ديك الجن: ابتعد يا نمرود. (إلى أبي نواس بتهديد) نعم؟

أبو نواس: (يتأمل ديك الجن) صحيح ما وصفوك به يا ابن رغبان. شاب جميل الطلعة واللباس، في خميلة منقطعة عن الناس. (يلفت إلى الموجودين) أصحابك يستحقون التحية والسلام أيضاً. السلام عليكم.

بكر: (بترحاب) وعليكم السلام. وعليكم السلام.

أبو نواس: لعلهم يعرفون.. تحيةَ الضيوف.. بنظرة حلوة.. وشُربة من خمر.

ديك الجن: إن كنت ضيفاً لائقاً، فعلام قرعُ الباب بالإزعاج؟

أبو نواس: قرعت بدايةً قرعاً خفيفاً.

ديك الجن: لكن قرعك لم يكن عندي لطيفاً.

أبو نواس: لعلي . دون أن أدري . خرجت عن القرع الخفيف إلى القرع الشديد.

ديك الجن: لماذا صدَعْت رؤوسنا بقرعك، وخرقت آذاننا بصوتك؟

أبو نواس: أنت من أجبرني على القرع الشديد، والرفعِ

للصوت المديد. وأصحابُك أيضاً.

ديك الجن: أنا وأصحابي؟ هل جرَّك أحد إلينا حتى تزعج مجلسنا؟

أبو نواس: أصوات لهوكُمُ تشقُّ أجواء السماء. فكأنها قصفٌ يسدُّ أركان الفضاء.

ديك الجن: (وقد ازداد غضبه) وما شأنك بلهوي وقصفي أيها الغريب الذي لا يعرف الأدب؟

(أبو نواس يلكز ديك الجن)

أبو نواس: لست غريباً يا هذا. وأنا الذي يعرف الأدب.

ديك الجن: وقح وثقيل على النفس. وفوق هذا تنسب إلى نفسك الأدب.

أبو نواس: بل أنا سيد الآداب ونبراس الفصاحة. لكن.. من بعدك يا سيدي.

ديك الجن: ومن أنت؟

أبو نواس: لن أذكر اسمي حتى تسمح لي بتقبيل رأسك. فأنت أستاذي في الشعر.

ديك الجن: أأنت شاعر؟

أبو نواس: وتلميذ بشار بن برد ووالبة بن الحباب وغيرهما من فصحاء العرب.

نمرود: اشتهينا ضيفاً يسايرنا، فجاءنا شاعر

يماحكنا.

ديك الجن: اسكت يا نمرود.

نمرود: سكتنا. فالمتكلمون اليوم كثيرون.

ديك الجن: (إلى أبي نواس) من أنت؟

أبو نواس: أُسمعك بعض شعري. عندها تعرفني.

ديك الجن: أحسنت يا سيدي. فالقول دليل القائل. والشعر غناء الشاعر.

أبي نواس: **دع عنك لومي فإن اللوم إغراءُ**

وداوني بالتي كانت هي الداءُ

صهباءُ لا تنزل الأحزانُ ساحتَّها

لو مسَّها حجرٌ مسته سَرّاء

قامت بإبريقها والليلُ معتكِرٌ

فلاح من وجهها في البيت لألاء

فأرسلتْ من فم الإبريق صافيةً

كأنما أخذُها بالعين إغفاء

فلو مزجتَ بها نوراً لمازجها

حتى تولَّد أنوارٌ وأضواء

دارت على فتية دان الزمانُ لهم

فما يُصيبهمُ إلا بما شاؤوا

ديك الجن: أبو نواس؟

أبو نواس: بذاته يا سيد الشعراء.

(يتعانقان)

ديك الجن: تعالي يا دنيا ورحبي بأعظم الشعراء.

أبو نواس: لا يكون الترحيب إلا بخمر.

ديك الجن: هات الشراب يا نمرود.

أبو نواس: لا أقبل الشراب إلا من يد غلامك بكر.

نمرود: أحسن.

ديك الجن: وما أدراك بغلامي بكر؟

أبو نواس: أهل بغداد يسمعون به ويعجبون به كما يعجبون بشعرك يا صديقي.

(تهجم دنيا نحو أبي نواس بقسوة. وبما أنها تنطق أول مرة وتبرز أول مرة، يجب أن تظهر بكامل قسوتها وغيرتها)

دنيا: ألا يسمعون بفتاته دنيا؟ ألا يستحق جمالي أن يسمع به الناس؟

أبو نواس: ومن أنت يا جميلتي؟

دنيا: (إلى ديك الجن) أخبر هذا الشاعر الماجن

من أنا بين الجميلات، وما أنا عندك يا سيدي. وإن قصَّرتَ في وصفي وصفتُ نفسي. وإن قصَّر في تقديري أسمعتُه كلاماً أقذعَ من هجائه.

ديك الجن: هذه..

أبو نواس: عرفتها يا ابن رغبان. فهي الفتاة الجميلة دنيا. تغزلتَ بها حتى عرفها القاصي والداني: ألستَ تقول فيها:

ودعتُها لفراق فاشتكت كبدي
وشبَّكت يدَها من لوعةٍ بيدي
وحاذرتْ أعينَ الواشين فانصرفتْ
تعضُّ من غيظها العنابَ بالبرَد
فكان أولُ عهد العين يوم نأت
بالدمع آخرَ عهد القلب بالجلَد
جسَّ الطبيب يدي جهلاً فقلت له
إن المحبة في قلبي فخلِّ يدي

دنيا: هو ذاك يا سيدي. تفضل. الآن تستحق أن تشرب الخمر من يدي. على أن تكتفي بالنظر إلي دون اللمس.

نمرود: إن شئت أن تلمسني فلن أعترض.

ديك الجن: (يلكز نمرود) اسكت يا عجوز. لولا أنك خدمت أبي من قبلي لألقيت بك في نهر العاصي.

نمرود: لن تفعل يا سيدي.

ديك الجن: لماذا؟

نمرود: لأني لا أعرف السباحة.

ديك الجن: أحسن.

نمرود: ولأني أصنع لك أطيب الخمر.

أبو نواس: احرص على عجوزك هذا يا ابن رغبان. فلن تعرف جمال دنيا إلا بوجود نمرود. فالضد يُظهِر حسنَه الضدُّ.

بكر: أحسنت القول يا أبا نواس.

أبو نواس: (إلى بكر) أجزم أنك أنت الذي يقول فيك ابن رغبان:

رقَّ حتى حسبتُه ورقَ الور
د جنياً يرفُّ بين الرياحِ
ورد الماءَ ثم راح وقد
ألبسه الماءُ في غُلالةِ راح

بكر: وكيف جزمتَ بهذا؟

أبو نواس: لتطابقِ الوصف مع الموصوف.

بكر: الآن تستحق أن تشرب خمراً من يدي. تفضل.

(أبو نواس يحمل الكأس الثانية. ثم يهم بالشرب. لكنه يتوقف)

أبو نواس: لن أشرب الخمر إلا مع سماع الشعر أو الغناء من فم بكر. بهذا أقسمت أمام نفسي.

ديك الجن: أنشدنا يا بكر ما تحفظه من شعر أبي نواس:

بكر: (ينشد)

لا تبكِ ليلى ولا تطربْ إلى هند

واشربْ على الوردِ من حمراءَ كالوردِ

كأساً إذا انحدرت في ثغر شاربها

غطَّته حمرتُها في العين والخد

فالكأس ياقوتةٌ والخمر لؤلؤةٌ

من كفِّ جارية ممشوقة القد

تسقيك من عينها خمراً ومن يدها

خمراً فما لك من سُكريْن من بد

لي نشوتان وللنُّدمان واحدةٌ

شيء خُصِصتُ به من دونهم وحدي

أبو نواس: أتحفظون شعري يا ابن رغبان؟

ديك الجن: نحفظه ونغنيه. غداً أُسمِعك هذا الشعر غناء. والآن نعود إلى سهرتنا. هيا يا بكر ويا دنيا.

نمرود: وأنا يا سيدي. ألا أرقص وأغني وأنشد الأشعار معهم؟

ديك الجن: إذا فعلتَ غنيت لك: قام الدب يرقص (يلتفت إلى بكر ودنيا) ابدؤوا.

(ديك الجن يحمل العود ويعود إلى إنشاد القصيدة الأولى. إنه استكمال لبداية السهرة التي قطعها دخول أبي نواس)

ديك الجن: (ينشد مع عزف العود أو يغني)

وليلةٍ بات طلُّ الغيث ينسجُها

حتى إذا أصبحت أضحى يدبِّجها

يبكي عليها بكاءَ الصبِّ فارقه
إلفٌ ويُضحكها طوراً ويُبهِجها
إذا يضاحكُ فيها الوردُ نرجسَها
باهى زكيَّ خزاماها بنفسجُها
فقلت فيها لساقينا وفي يده
كأسٌ كشعلة نارٍ بات يوهِجها
لا تمزُجَنْها بغير الماء منك فإن
تبخلْ يداك فدمعي سوف يمزجها

(يكون الرقص مع الغناء أو الإنشاد بشكل عاصف)
(تهدأ الحفلة بالتدريج)
إظلام خفيف

المشهد الثاني

(المكان نفسه)

(الوقت منتصف النهار)

(دنيا وأبو المغيث واقفان وهما محتدان)

أبو المغيث: أيقظيه. أيقظيه.

دنيا: يا أبا المغيث. قلت لك إنه نائم وإني لن أوقظه.

أبو المغيث: هل ينام أحد حتى منتصف النهار؟

دنيا: وما شأنك به إن نام حتى منتصف النهار أو حتى الليل؟ هل أنت وليُّ أمره؟

أبو المغيث: أنا ابن عمه. وأنا الوحيد الباقي من أفراد أسرته.

دنيا: لو كنتَ أمه وأباه وأخته وابنه فلن أوقظه.

أبو المغيث: معلوم. في الليل تقترفون الموبقات. وفي

النهار تنامون كالأموات.

(يدخل بكر وقد سمع الجملة الأخيرة)

بكر: اِحذر من التمادي في الكلام يا هذا. فسهراتُ سيدي غناء وشعر وليس فيها ما تفتري عليه من الكذب.

أبو المغيث: أترفع صوتك علي يا خادم؟

(بكر يمسكه من خناقه)

بكر: إن أضفت كلمة واحدة في إهانتي أو إهانة مولاي ديك الجن فلن تعرف ما يحدث لك حتى لو كنت أمَّ سيدي أو أباه أو أخته.

أبو المغيث: لم يبق إلا أن تضربني يا بكر.

بكر: عند الضرورة أفعل ذلك. (يترك خناقه بحدة).

أبو المغيث: تتصرف معي بهذه القسوة يا بكر. وسيدك يقول عنك:

رق حتى حسبته ورق الورد

جنيَّاً يرفُّ بين الرياح؟

بكر: أرقُّ مع من يستحق الرقة. وأقسو مع قليل الفهم الذي لا يعرف الذوق.

أبو المغيث: وتتهمني بقلة الذوق؟

دنيا: دعه يا بكر. فهو سخيف ومزعج وغبي. (تلتفت إلى أبي المغيث الذي يحاول أن يرد على دنيا) لا تدافع عن غبائك. أخبرني. لماذا تريد أن توقظه؟

أبو المغيث: لأصون سمعته وأحفظ كرامته.

دنيا: كيف؟

أبو المغيث: بأن يغير سلوكه وأقواله حتى تخف النقمة عليه.

دنيا: ومن ينقم عليه؟

أبو المغيث: كل الناس. من الخليفة في بغداد إلى والي حمص. البارحة سمعت أن والي حمص غاضب منه أشد الغضب. ولن يسكت عن أفعاله.

دنيا: لماذا ينقمون عليه؟

أبو المغيث: سكرٌ وخمرٌ وغناء في الليل. وتبطُّلٌ في النهار. وتقصير في مدح الخليفة في بغداد. وفوق هذا، مدحٌ لآل هاشم في السلمية.

دنيا: أعرف أن الناس يحبونه ويرددون أشعاره في كل مكان.

أبو المغيث: ويرددون قوله في مدح جعفر بن علي الهاشمي:

نغدو لسيدنا نحصي الحصا عدداً

في الخافقين ولا نحصي فواضِلهُ.

دنيا: ما الذي يُغضِب الخليفةَ من هذا القول؟

أبو المغيث: افهمي يا دنيا. جعفر بن علي الهاشمي هذا يثير الناس على الخليفة بحجة أنه خليفة ظالم يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، وأن حاشيته من أراذل الناس. يعني.. سيدُك الفاسق يترك مدح الخليفة ويمدح خصومه والناقمين عليه. ومادحُ المتمرد على الخليفة متمرد.

دنيا: سيدي يمدح من يريد.

أبو المغيث: لكن الناس يرددون مدح سيدك المجنون للمتمرد على الخليفة.

(يدخل ديك الجن وهو يرتجف غضباً)

ديك الجن: وسأجعل الناس يرددون هجائي لك. اسمع:

يا عجباً من أبي الخبيث

ومن سُروحه في المقابر الكدِرةْ

يحمل رأساً تنبو المعاول عن
صفحته والجلامدُ الوعِرةْ
سبحان من يمسك السماءَ على
الأرض وفيها أخلاقك القذرة

أبو المغيث: (وقد أصيب بحالة من الهيستيريا) أتهجوني وأنا ابن عمك يا فاسق؟

ديك الجن: (يرفع عليه العصا) وإذا زدت كلامك، كانت العصا دواءك.

أبو المغيث: وتهددني؟ والله لن أسكت عن هذا. لن أسكت عن هذا.

(يدخل نمرود مسرعاً. ديك الجن يشير إلى نمرود الذي يدور حول أبي المغيث ويهزأ به في حين يصرخ أبو المغيث)

نمرود: أبو الخبيث. أبو الخبيث.

دنيا: أبو الخبيث. أبو الخبيث.

نمرود: جحشٌ في رأس البراغيث.

(أبو المغيث يخرج غاضباً. ديك الجن وبكر ودنيا ونمرود يضحكون)

ديك الجن: من أين جئت بهذه الصورة الجميلة يا نمرود؟ جحش في رأس البراغيث؟

نمرود: من عاشر الشعراء صار قرينهم.

ديك الجن: لم يبق إلا أن تصبح شاعراً.

نمرود: ولماذا لا أصير؟

ديك الجن: هس.

(في الباب تقف ورد وفي يدها صرة صغيرة. ديك الجن ينبهر بجمالها. يتقدم نحوها خطوة. يتقدم معه بكر)

(دنيا التي لاحظت انبهار ديك الجن بها تسرع نحوها وتقف أمامها)

دنيا: من أنت يا فتاة؟

ورد: فليسألني سيدي. (تشير إلى ديك الجن)

ديك الجن: مُرحِّباً أسأل. ووجهَك أتأمل. ما أجملك يا فتاة.

ورد: ورد. اسمي ورد.

بكر: وأنت باقة ورد.

ديك الجن: من أي الجنان هبطت يا وردُ علينا؟

ورد: أرسلني إليك المحبون هديةً منهم.

ديك الجن: من أين يا وردُ؟

ورد: من السلميةِ حيث يكثر من يحبونك.

ديك الجن: ومن همُ يا ورد؟

ورد: منعوا عليَّ البوح بالأسماء. فالفضلُ بالإكرام صامت. فكن مثلي على الأسرار ساكت.

بكر: هكذا فلتكن النساء. في الوجه جمالٌ ساحرٌ والنفسُ ناصعة النقاء. القدُّ يفتن من يرى. والروح تزهو بالصفاء.

نمرود: أنا لا أقل عن ورد هذه جمالاً في الوجه ورشاقة في القد.

ديك الجن: نهر العاصي ينتظرك يا نمرود. (إلى ورد) ماذا تعرفين من فنون القول يا ورد؟

ورد: أعرف الشعر وأغنيه.

ديك الجن: وماذا تحفظين من شعري؟

ورد: أحفظ أجمله. أتريد أن تسمع بعض ما أحفظ؟

ديك الجن: يا ليت.

ورد: أنت تقول في غلامك بكر:

دع البدر فليغرُبْ فأنت لنا بدرُ

إذا ما تجلّى عن محاسنك الفجرُ

إذا ما انقضى سحرُ الذين ببابلٍ

فطرفُك لي سحرٌ وريقُك لي خمر

ولو قيل لي قمْ فادعُ أحسن من ترى

لصحتُ بأعلى الصوت يا بكر يا بكر

(ديك الجن يتمايل وهو يأخذ بيد بكر)

ديك الجن: **ولو قيل لي قم فادع أحسن من ترى**

لصحت بأعلى الصوت يا بكر يا بكر

(ورد تردد الأبيات السابقة)

ديك الجن: يا فتنتي بك يا ورد.

بكر: ويا فرحتي بك يا ورد. ألا قلت الآن فيها شعراً يا سيدي؟

ديك الجن: **بأبي فمٌّ شهد الضمير له**

قبل المذاق بأنه عذبُ

كشهادتي لله خالصة

قبل العِيان بأنه ربُّ

(بكر وورد يأخذان بأيدي بعضهما ويرددان البيتين السابقين)

(ديك الجن يغني ويرقص معهما بحيث يبدو كأنه في أقصى حالات الهياج. يقترب من بكر ويقول الشعر في حالة وجد صوفي)

ديك الجن: **انظُرْ إلى شمس القصور وبدرها**

وإلى خُزاماها وبهجة زهرها

لم تبْلُ عينُك أبيضاً في أسودٍ

جمع الجمالَ كوجهها في شعرها

وتمايلت فضحكتُ من أردافها

عجباً ولكني بكيت لخصرها

تسقيك كأس مُدامة من كفها

وردية ومدامةً من ثغرها

(ديك الجن يردد البيت الأخير وهو يدور راقصاً)

بكر: كأنك أحببتها يا سيدي.

ديك الجن: قل إنها فتنتني. وفي عشقها رمتني.

(يزداد اندفاعاً وتمايلاً)

بكر: هدِّئْ نفسك يا سيدي. هدئ نفسك. اجلس.

(بكر يمسك يد ديك الجن ويجعله يجلس بينما عيناه وعينا ديك الجن متعلقتان بورد. بكر يقترب من ورد بلهفة)

بكر: وماذا تعرفين غير الشعر والغناء يا ورد؟

ورد: أحفظ علوم الفلسفة.

ديك الجن: وهل تعملين بها؟

ورد: أعمل بأهم مبادئها.

ديك الجن: وما هي؟

ورد: الحكمة التي تقول: اغتنم صفوَ الليالي.

بكر: تلك أكرم حكمة. واتباعها أعظم نعمة. ماذا تقول أنت يا سيدي؟

ديك الجن: كأنك تنطق بلساني أنت وورد.

بكر: وكأننا نحن الثلاثة..

ديك الجن: (يقاطع بكراً)

نحن الثلاثة واحدُ

والكلُّ منا ماجدُ

فكأننا نهر الهوى

والقلبُ منا رافدُ

ورد: أتسمح لي بسؤال يا سيدي؟

ديك الجن: **اسألي يا ورد إني**

بين عينيك أسوحُ

كلما هبَّ نسيم

مسني منك جروحُ

حدُّ ما يُعشَق عندي

حيوانٌ فيه روح

ورد: لماذا يسميك الناس ديك الجن، ولا ينادونك باسمك عبد السلام بن رِغْبان؟

ديك الجن: (يضحك ضحكة كبيرة) لأني لا أبالي بهم. أشرب الخمر إذا اشتهيتها. أغازل من أحب دون خجل. وأفضح سخفهم بالهجاء. أرادوا أن ينتقصوا مني، فأطلقوا عليَّ اسمَ ديك الجن على اسم حشرة صغيرة تعيش في خوابي الخمر، أو على اسم حشرة أصغر تعيش بين أشجار الميماس.

ورد: وهل تضيق بهذا الاسم؟

ديك الجن: على العكس. فالديك يصيح أول النهار معلناً شروق الشمس. و..

جنيُّ الشعر يراودني

في حينَ الحسنُ يغازلني

ورد: (تضحك بدلع) كأنك مفتون بالجمال يا سيدي.

بكر: يهيجه الشوق إلى الجمال. فيسلك في الحب سلوك العاشقين.

ديك الجن: ويحِي منكما يا بكر ويا ورد. كيف لا أُفتَن بكما وأنتما عينٌ تراني ولسان يفضحني.

(دنيا الواقفة وهي غاضبة تقترب منهم)

دنيا: كفى يا سيدي. فأنت بهذا الكلام تحقِّر نفسك. اذهب إلى غرفتك يا بكر. وأنت يا ورد. تعالي حتى أجهز لك غرفة.

ديك الجن: لتكن غرفة مريحة تليق بورد الجميلة.

دنيا: جارية قبيحة تأتي اليوم وتطلب لها غرفة مريحة؟ لم يبق إلا أن تجعلها تنزل في غرفتي.

ديك الجن: لا. ولكن..

دنيا: سأعطيها غرفة أختارها لها.

ديك الجن: كما تريدين. كما تريدين.

دنيا: وأنت اذهب إلى غرفتك واسترح يا سيدي. كفانا ليلةُ الأمس سهراً وخمراً.

(ديك الجن يغمز بكراً كأنه يقول له: يجب أن نراعي دنيا)

(يذهبون خارج المسرح. تظل دنيا وحدها)

دنيا: هل فقدتُ مكانتي عند سيدي بسبب هذه

الفتاة الغريرة؟ سأريك من أنا يا شاعر الفسق والفجور.

(نمرود يمد رأسه من طرف المسرح)

نمرود: أتقولين شيئاً يا دنيا؟

دنيا: أقول إن عليك أن تذهب إلى عملك يا عجوز النحس.

نمرود: وأنا أقول إن عليك أن تظلي وفية لسيدك ديك الجن.

دنيا: انقلع من وجهي يا أهبل وإلا..

(نمرود يسرع خارجاً)

(دنيا تظل واقفة لحظة ثم تخرج)

(يظل المسرح فارغاً)

(فجأة يعود بكر وورد وديك الجن. يهجمون نحو بعضهم بلهفة)

إظلام خفيف

المشهد الثالث

(في المكان نفسه)

(الوقت صباح)

(من طرفي المسرح يدخل بكر وورد. ينظران إلى بعضهما لحظة دون كلام)

ورد: كم أحبك يا بكر. لم أعرفك إلا منذ أسبوع. لكنني أشعر أني أحببتك من أول العمر.

بكر: وكأني ما عرفت الحب من قبلك يا ورد. لكن.. ألا نخون سيدنا ديك الجن؟

ورد: كيف نخونه؟

بكر: واجبنا أن نمنحه حبنا. أنت فتاته التي يهواها. وأنا كأني ولده الذي رباه.

ورد: (تضحك) وهل الحب واجب يا بكر؟

بكر: الحب شعور بالفرح.

ورد: وأنا أشعر معك بالفرح.

بكر: وكيف تشعرين مع سيدي ديك الجن؟

ورد: أعجبت به قبل أن أراه. فلما أرسلوني إليه كنت كالمسافر الذي يعود إلى موطنه بعد طول غياب.

بكر: ما الذي جعلك تعجبين به وأنت لا تعرفينه؟

ورد: ألا تعرف أن الناس تُعجَب بالشاعر من سماع شعره؟

بكر: أعرف.

ورد: وقد فتنني قوله:

ولي كبدٌ حرّى ونفسٌ كأنها

بكفِّ عدوٍ ما يريد سَراحَها

كأن على قلبي قطاة تذكَّرت

على ظمأ وِرداً فهزَّتْ جناحَها

فتعلق به قلبي حتى كنت أشعر بأنه طير يهز جناحه في مهب الريح.

بكر: وأنا كنت معجباً به يا ورد، حتى تعلقتُه وعفتُ من أجله الدنيا. وقد أحبني كثيراً لوفائي له وتعلقي به. أما سمعت قوله فيَّ:

يا كثير الدلِّ والغنجِ

لك سلطانٌ على المهجِ

إن بيتاً أنت ساكنه

غيرُ محتاج إلى السُّرُجِ

وجهك المأمول حجتنا

يوم يأتي الناس بالحجج؟

ورد: سمعت. بل وأحفظ كل ما قاله إعجاباً بك.

بكر: لكني منذ رأيتك شعرت أنك ملأت عليَّ الدنيا فلم أعد أرى أحداً غيرك يا ورد. حتى سيدي ديك الجن لم يعد يملأ قلبي.

ورد: أيعني ذلك أنك تخونه إن أحببتني ما دام يحبني؟

بكر: حاشا لله أن أخون سيدي. فالحب أمانة. وليس الحب خيانة. سأظل وفياً له ما دمت على قيد الحياة. أنقذني من ذل العبودية. وعاملني كأنني ولده. وفرح بي كأنني قصيدته.

ورد: لكنك تحبني.

بكر: سأكتفي بشعور الحب. لن أمد إليك يداً أبداً. ولن ألمس منك جسداً. فروحي الهائمة...

تعانق روحك الحائرة. فإذا صار الفرحُ بالحب عذاباً للجسد، كان الوفاءُ لسيدي بلسماً للجراح.

ورد: ما ألذ كلامك يا بكر.

بكر: وأنت يا حبيبتي. هل تشعرين بغير الفرح لأنك أحببتني؟ فكِّري قبل أن تردي عليّ. فكّري.

(ورد تدعي أنها تفكر. بكر شديد اللهفة لها. دنيا تمد رأسها قليلاً من طرف المسرح وتسمع)

ورد: إذا فكرت قلت إني أحبك حباً ليس أحلى منه.

بكر: وإذا لم تفكري؟

ورد: سارعت إلى القول:

وأحبك حباً من عسلِ

وعيونُك تُحيي لي أملي

وحريراً بين يديك أكونْ

يستر خجلي عند الخجلِ

بكر: كأنك تنطقين بلسان قلبي يا ورد.

(يتأملان بعضهما بصمت)

بكر: أتعلمين ماذا أشتهي يا ورد؟

ورد: ماذا تشتهي؟

بكر: أن أخرج بك من هذا الكوخ لنتمشى في الميماس على شاطئ العاصي.

ورد: ويحك يا بكر. ألا تعلم أن سيدنا ديك الجن يكره أن نخرج من هنا؟

بكر: لم أغادر هذا الكوخ منذ دخلته قبل سنوات. ولم أكن أشتهي أن أخرج منه. لكني منذ أحببتك صرت أشتهي أن أسوح في الدنيا لأصرخ بملء صوتي: أنا أحب ورد. أنا أحب ورد. وأشتهي أن تكوني معي حينما أصيح: أنا أحب ورد.

ورد: أنت تغريني بالتمرد على أمر سيدي.

بكر: معاذ الله أن نتمرد عليه. لكننا سنجد فرصة في يوم من الأيام ونخرج.

ورد: على أن يكون ذلك برضاه. فأنا أكره أن أُغضِبه.

بكر: تعالي الآن إلى غرفتي لتري ما فيها.

ورد: وما فيها؟

بكر: ستعرفين حين تأتين. تعالي.

(يخرجان مسرعين)

(تدخل دنيا مبتسمة شامتة)

دنيا: (تنادي) سيدي. سيدي.

(يدخل ديك الجن)

ديك الجن: ماذا تريدين؟

دنيا: ما تقول فيمن يغدر بك بعد أن وثقت به؟

ديك الجن: أقتله.

دنيا: فإن كان الغدر من أعز الناس عندك؟

ديك الجن: وضحي ما تقولين.

دنيا: غلامك بكر وحبيبتك ورد.

ديك الجن: ما شأنهما بالغدر وهما من أوفى الناس لي؟

دنيا: يحبان بعضهما.

ديك الجن: (يمسك بخناقها) أتفترين عليهما الكذب؟

دنيا: رأيتهما بعيني وسمعتهما بأذني.

ديك الجن: أعرف أنك تغارين من ورد. (يشدد على

خناقها) إن سمعت منك حرفاً واحداً عنهما، كانت منيتك على يدي.

(يتركها بقسوة ويخرج)

دنيا: (بسخرية) غبي مأفون وشاعر مجنون. لكني سأعرف كيف أداوي غباءك وأشفي جنونك.

(تصفِّر)

(يدخل أبو المغيث)

دنيا: تعال يا أبا المغيث.

أبو المغيث: الآن تقولين يا أبا المغيث؟ كنت تقولين عني: أبو الخبيث كما يقول سيدك الفاسق.

دنيا: أخفض صوتك يا غبي يا قليل الفهم.

أبو المغيث: أدعوتني إلى هنا لأسمع هذه الكلمات الجميلة؟

دنيا: أنت تثبت أنك غبي وقليل فهم. (يحاول أن يتكلم) اسكت واسمعني جيداً.

أبو المغيث: تكلمي. لكن إن نطقت بشتيمة واحدة تركتك وذهبت. تكلمي.

دنيا: ألا تكره ابن عمك هذا الشاعر الفاسق؟

أبو المغيث: أكرهه وأتمنى موته.

دنيا: قل لي أولاً. لماذا تكرهه؟ لا تقل لي لأنه فاسق ولأنه يعارض الخليفة ولأنه يحب الهاشميين خصوم الخليفة. فهذه حجة لا أقتنع بها. أخبرني بالحقيقة. الحقيقة وحدها.

أبو المغيث: هذه هي الحقيقة.

دنيا: (تلكزه) تكلم واصدق. وإلا أسمعتك أقبح الشتائم.

أبو المغيث: ديك الجن عنده مال كثير من الهبات والعطايا التي يرسلها إليه محبوه.

دنيا: أعرف هذا. وأعرف أنه لا يهتم بالمال ولا يخفيه عني أو عن غلمانه وجواريه.

أبو المغيث: وقد ورث أرضاً واسعة في ظاهر حمص.

دنيا: لا أعرف هذا الإرث.

أبو المغيث: وهو لا يعرفه لأنه لم يسأل عنه. حتى عندما أخبروه به لم يلتفت إليه.

دنيا: الآن فهمت ما تريد. تريد أن تنهبه حياً وترثه ميتاً.

أبو المغيث: أنا ابن عمه. والشرع يجعلني وريثه بالحلال. أم تظنين أني آكل المال الحرام؟

دنيا: حقاً إنك أبو الخبيث.

أبو المغيث: أنت تعودين إلى شتيمتي.

دنيا: افهم يا أهبل. أنا معجبة بك لأنك أبو الخبيث. فأنت مع الخبائث تتفق. ومع الطهارة تختلف.

أبو المغيث: كفى يا جارية. كفى. أنت تجعلين جلدي يرتعش.

دنيا: سأجعل قلبك يرتعش.

أبو المغيث: لا يرتعش قلبي بالحب إن كنت تعرضين عليَّ الحب.

دنيا: (تلكزه) أنا أعرض عليك الحب؟ لو لم يبق من الرجال إلا القرود، لما فكرت بك.

أبو المغيث: أنت تتحدثين عن ارتعاش القلب.

دنيا: قلبك لا يرتعش بالحب. فهو أقسى من الصوان والجلامد. ألم يصفك ابن عمك بهذا؟

أبو المغيث: إن لم تسكتي يا فتاة، عاجلتك بالضرب حتى يصبح جلدك أزرق اللون.

دنيا: (تضحك ساخرة) تضربني؟ وتجعل جلدي

أزرق اللون؟ أنت جبان تعرف تدبير الدسائس ولا تستطيع أفعال الشجاعة.

أبو المغيث: لن أصبر عليك أكثر من هذا. أنا ذاهب. (يهم بالذهاب).

دنيا: (تصرخ وراءه) سأفتح لك باب الرزق من مال ابن عمك.

أبو المغيث: (يقف) كيف؟

دنيا: تسايرني فيما أريد له، وتطيعني فيما أطلب منك.

أبو المغيث: تتكلمين جادة يا دنيا؟

دنيا: (بغضب) ألا تعرف دنيا التي لا يردها شيء عما تريد؟

أبو المغيث: أعرف. وأعرف أنك كنت وراء كره ابن عمي لي.

دنيا: على أن..

أبو المغيث: أساير وأوافق. أساير وأوافق.

دنيا: تذهب الساعة إلى والي حمص وتقول له..

(تهمس في أذنه بكلام. أبو المغيث ينبهر بكلامها)

أبو المغيث: من أين جئت بهذا التدبير؟

دنيا: نفذ ما قلته لك وكفى.

أبو المغيث: وأنت يا جارية. أخبريني بالحقيقة. الحقيقة وحدها.

دنيا: أية حقيقة؟

أبو المغيث: أعرف أنك تحبين سيدك الفاسق وأنك تفتدينه بروحك. فماذا جرى حتى صرت تدبرين له ما تدبرين؟ لا تقولي إنك تعطفين علي وتريدين لي الخير أو إنك تريدين المال. هيه. (بحزم يكشف عن قوته) تكلمي. لماذا تدبرين له ما تدبرين؟

دنيا: لأنه أحرق قلبي. أحب هذه الفتاة البلهاء وتركني بعد كل إخلاصي له. فإذا أحرقتُ أنا قلبه، ونهبتَ أنت ماله، عاد إلي صاغراً وارتمى تحت قدمي نادماً. فتعود مكانتي كما كانت. عندها أغمره بحنان لا يعرف أحدٌ مثلَه.

أبو المغيث: وإذا ظل على حبه لتلك الفتاة؟

دنيا: سيعرف معنى أن يغدر بامرأة تحبه.

أبو المغيث: ويلي من كيد النساء.

دنيا: (تصرخ فيه) قل إنه جزاء الغدر بالحب.

أبو المغيث: كما تريدين. سأذهب إلى والي حمص.

دنيا: ولا تتأخر.

أبو المغيث: لكن اعلمي أني إن خطوت خطوة لا أتراجع عنها.

دنيا: واعلم أن دنيا تقتل من يمنعها إن أرادت أن تخطو في أمر خطوة.

أبو المغيث: الآن اتفقنا. (يهم بالذهاب ثم يتوقف) ألا تعجِّلين لي بشيء مما يسر القلب؟

دنيا: (تتناول صرة مال وتدفعها إليه) خذ ما يُفرِح قلبك ويقوي عزيمتك.

(أبو المغيث يخرج مسرعاً)

إظلام

المشهد الرابع

(الوقت صباح)

(قرع شديد على الباب. نمرود ودنيا يأتيان مسرعين لفتح الباب)

نمرود: ارجعي يا دنيا. هذا القرع الشديد لا يعجبني.

(دنيا تقف عند باب الغرفة الداخلية. نمرود يفتح الباب. يدخل والي حمص. وراءه حاشيته وجنوده)

جندي: قل لسيدك عبد السلام بن رغبان إن والي حمص يريده.

نمرود: والي حمص بذاته يزور كوخ سيدي المسكين؟

جندي: لا تثرثر يا عجوز وإلا...

(الجندي يرفع يده ليضرب نمرود)

نمرود: أتضربون الناس على الثرثرة؟ ماذا تفعلون

بهم إذا تكلموا من غير ثرثرة؟

والي حمص: هل علّمك سيدك الكلام في السياسة يا عجوز؟

نمرود: أنا تكلمت في السياسة يا سيدي الوالي؟

والي حمص: أخبر سيدك أني أريده.

نمرود: حاضر. حاضر.

(نمرود يخرج مسرعاً.

أبو المغيث يبرز عند الباب)

الوالي: (إلى أبي المغيث) اعرِفْ متى تتدخل.

(دنيا تهز رأسها لأبي المغيث موافقة)

(أبو المغيث يخرج. دنيا تدخل الغرفة)

(يدخل ديك الجن حاملاً سيفه. يدخل وراءه نمرود)

الوالي: جئتُ زائراً يا ابن رغبان.

(ديك الجن يضع سيفه عند باب الغرفة)

ديك الجن: أهلاً بوالينا الكريم مادام قادماً إلينا بزيارة.

الوالي: أنت ذو مكانة عالية يا ابن رغبان. وجئت لأرى إن كنت تريد شيئاً أو تطلب أمراً.

ديك الجن: تكفيني زيارتكم يا سيدي. (يلتفت إلى نمرود)

قدم شراب الورد لوالينا.

الوالي: لا أريد شيئاً يا ابن رغبان. هناك أمر أحب أن أتداول معك بشأنه.

ديك الجن: ما هو؟

(يدخل بكر ويقف إلى جانب ديك الجن)

الوالي: (يخرج رسالة من جيبه) أمير المؤمنين المعتصم بالله أرسل إلي رسالة يدعوك فيها إلى طاعته. وأمرني أن أدفع لك هذا المال.

(الوالي يبرز صرة مال)

ديك الجن: شكراً لك وللخليفة. لكني لا أريد ماله.

الوالي: اسمع. جميع شعراء أرض الخلافة مدحوا أمير المؤمنين إلا أنت.

ديك الجن: أنا لا أمدح أحداً.

الوالي: لكنك مدحت جعفر بن علي الهاشمي وقلت فيه:

أنت أبا العباس عباسُها

إذا استطار الحدَثُ المعضِلُ

وأنت ينبوع أفانينها

إذا همُ في سنةٍ أمحلوا

نقول بالعقل وأنت الذي

نأوي إليه وبه نعقل

نحن فداءٌ لك من سيد

والأرضُ والآخِرُ والأولُ

ديك الجن: مدحته حباً به ولم أمدحه حباً بالمال.

الوالي: واجبك أن تطيع أمير المؤمنين وأن تقف معه وأن تهجر خصومه والمتمردين عليه أو المحرضين على التمرد.

ديك الجن: ليس لي شأن بموقف أحد من الخليفة.

الوالي: ألا تعرف أن جعفر بن علي هذا يتهم الخليفة بمجموعة من الأكاذيب يفتريها عليه؟

ديك الجن: أعرف أني أحب هذا الهاشمي.

الوالي: أيحب أحد خصومَ الخليفة؟

ديك الجن: أحب الحزانى أيها الوالي. أحب الذين يبكون من ألم القتل وظلم القهر. فالحزن في صدري دفين.

الوالي: (يضحك بسخرية) ماجن وتتحدث عن الحزن؟

ديك الجن: ليس المجون سوى وجه من الألم. والألم وجه من وجوه الغضب.

الوالي: لا نسأل عن أحزانك. ولا نهتم بغضبك. نسأل أن تقوم بواجبك ويهمنا أن تحب الخليفة وتمدحه. وهذا (يشير إلى صرة المال) جزاء طاعتك وانصياعك لأمره.

(الوالي يلقي صرة المال. الصرة تقع على الأرض)

ديك الجن: (بنبرة حادة) ألا تفهم أيها الوالي؟ قلت لك إني لا أمدح أحداً.

الوالي: اسمع يا ابن رغبان. كنت أستطيع أن أجعل الجند يأتون بك مرغماً مكبلاً بالحديد مجللاً بالذل والعار أمام أهل حمص.

ديك الجن: ولماذا لم تفعل؟

الوالي: لأني أحفظ لك بقية من احترام، ولأن أمير المؤمنين يريد أن يرعاك.

ديك الجن: وإذا لم أمدح الخليفة؟

الوالي: تواجه تهمةً لا قِبَل لك بردها.

ديك الجن: ما هي؟

الوالي: الكفر والزندقة.

ديك الجن: أتتهمون الناس بالكفر أو الزندقة دون دليل؟

الوالي: الدليل عندي.

ديك الجن: ما هو؟

الوالي: قولك في مدح صاحبك جعفر بن علي:

وأنت علام غيوب القضا

يوماً إذا نَسأل أو نُسأَلُ

نحن نعزّيك ومنك الهدى

مستخرَجٌ والنورَ نستقبلُ

أتنكر أن هذا الشعر لك؟

ديك الجن: أعتزُّ به ولا أنكره.

الوالي: كأنك تعتز بالكفر وتفرح بالزندقة. وما دمت على هذا الحال، فقد حلَّ لنا دمُك. وسوف نسفكه على شاطئ العاصي حتى يسيل مع ماء النهر فلا يبقى منه أثر.

نمرود: أتظن سيدي يخاف تهديدك؟

الوالي: انتبه لما تقول يا عجوز. فإن لصبري وصبر أمير المؤمنين حداً نقف عنده. واعلم أن حد الصبر عندي وعنده قصير.

ديك الجن: (يضحك بسخرية) ولماذا لا تجعل هذا الحد طويلاً؟

الوالي: لأنَّ أمير المؤمنين من رجال الحرب. ورجال الحرب لا يعرفون إلا الحرب. ومع خصومهم على وجه التحديد.

ديك الجن: **رجالُ الحرب في حرب علينا**

وفي سلم مع الأعداء جُبنْا

فإن كنا نصوغ القولَ صمتاً

فمن خوفٍ ومن قهرٍ صمتنا

الوالي: اخرس يا فاجر.

(الوالي يشير إلى جنوده فيحيطون بديك الجن)

ديك الجن: اقتلني إن استطعت.

نمرود: لن يجرؤ يا سيدي. فقتلك يُغضِب الناس.

الوالي: ألم تجد غير هذا العجوز يدافع عنك يا ابن رغبان؟

ديك الجن: هذا ما يفعله الحب والوفاء أيها الوالي. وهما أمران لا تعرف عنهما شيئاً.

الوالي: اخرس يا ديك الجن، يا حشرة تسعى في خوابي الخمر أو تزحف بين الأشجار.

ديك الجن: حشرة تغني للحب خير من رجل يركع ذليلاً أمام المنصب والمال.

الوالي: (بغضب) ألن تسكت عن مثل هذا الكلام يا فاسق؟

ديك الجن: إذا أردتَ أن أقول في الخليفة ما يجب قوله فاسمع مني هذا الشعر:

رأسُ الفساد خليفةٌ متفاخرٌ
يُرمى إليه المُلْكُ دون جدارةْ
وله من الأعوان ما تزهو بهم
ريحُ القذارة في الزوايا الحارة
سرقوا من الأفواه لقمة عيشها
وتبطّلوا فسقاً بكل جسارة

الوالي: (وقد ازداد غضباً) تهجو الخليفة يا أحقر الخلق؟ (إلى الجنود) اقبضوا عليه.

(يهجم الجنود على ديك الجن. يندفع نمرود وبكر للدفاع عنه. يتضاربون. يدخل أبو المغيث مسرعاً)

أبو المغيث: انتظر يا سيدي الوالي. انتظر. (إلى المتضاربين) انتظروا (يتوقف العراك)

الوالي: ماذا تريد يا أبا المغيث؟

ديك الجن: ما الذي أتى بك في هذه اللحظة يا أسوأ ابن عم؟

أبو المغيث: جئت لأني أشفق عليك يا ناكر الجميل. (يلتفت إلى الوالي) انتظر عليه بعض الوقت يا سيدي. سوف يعود إلى عقله حين يصحو من الخمر. وسوف يقدم الطاعة والولاء لأمير المؤمنين.

الوالي: أسمعت ما قاله في هجاء الخليفة؟

أبو المغيث: سيعود إلى عقله ويستبدله بأجمل المديح.

الوالي: أفضل أن أسجنه أياماً يذوق فيها طعمَ العصي ولذةَ التعذيب. عندها يعود عقله إليه.

أبو المغيث: أنا أتشفّع له عندك.

الوالي: سأقبل شفاعتك فيه. (إلى الجنود) اتركوه.

(الجنود يتركونه)

أبو المغيث: ادخل إلى غرفتك يا ابن العم. أدخِلْ سيدَك إلى غرفته يا نمرود أنت وبكر.

نمرود: تعال يا سيدي.

(نمرود وبكر يسحبان ديك الجن إلى الداخل. دنيا تلحق بهما)

أبو المغيث: سوف يطيعك فيما تريد يا سيدي الوالي،

ويمدح الخليفة ويُظهِر له الطاعة.

الوالـي: وإذا لم يفعل؟

أبو المغيث: لكل حادث حديث.

الوالـي: لكن أمير المؤمنين أمرني أن أنتهي من أمره. فإما الطاعة وإما الموت.

أبو المغيث: اسمع نصيحتي يا سيدي الوالي. ولن تكون إلا راضياً.

الوالـي: سأمهلك أياماً. وبعدها..

أبو المغيث: (يقاطعه) تفعل ما تريد..

(الوالي وجنوده يخرجون تعود دنيا)

دنيا: ويلك يا أبا الخبائث. طلبت منك أن تحرض الوالي على ديك الجن حتى يسجنه. لا أن تدافع عنه.

أبو المغيث: من قال إني دافعت عنه؟

دنيا: تشفعتَ له عند الوالي وأمهلته حتى يمدح الخليفة. أتريد أن يصبح ذا مكانة عند والي حمص؟

أبو المغيث: افهمي ما أريد يا جارية.

دنيا: أنت تناقض الاتفاق بيننا وتدافع عن هذا الفاسق. فماذا أفهم؟

أبو المغيث: لن يحدث إلا ما تحبين وما أريد. فشاعرك المغضوب لن يستجيب لمدح الخليفة.

دنيا: وإن خاف على نفسه ومدح الخليفة؟

أبو المغيث: (يضحك ساخراً) ديك الجن يخاف على نفسه؟ ألا تعرفينه متهوراً وأنه يعد تهوره من الشجاعة وقوة القلب؟

دنيا: وماذا نفعل به؟

أبو المغيث: نتركه الآن لحاله. سوف يغرق أكثر في فسقه وصداقته لذاك المخنث بكر وفي حبه لتلك السخيفة ورد.

دنيا: أتريد أن يستمر في حبها وينساني؟

أبو المغيث: اخلعي حبه من قلبك. فهو ليس لك يا غبية. فدعيه في غيه واستكباره حتى لا يغضب له أحد إن فعلنا فيه ما فعلنا. فأنال ما أريد. وتنتقمين منه كما تريدين.

دنيا: (بعد لحظة تفكير) هو ما تقول. هو ما تقول.

أبو المغيث: على أن تهدأ الأمور وينسى الجميع ما جرى له.

دنيا: والوالي؟

أبو المغيث: اتركيه لي. فسوف ألجم كرهه لابن عمي

الفاسق حتى أنفذ ما تطلبين من الانتقام.

(يتجه أبو المغيث ليخرج. يرى صرة المال فيأخذها)

إظلام

المشهد الخامس

(دنيا وبكر وورد وبعض الجواري جالسون. أبو نواس جالس معهم. ديك الجن جالس في زاوية بعيدة وهو منكمش على نفسه. تدخل دنيا وتقف بعيداً).

أبو نواس: كنت عائداً إلى بغداد. فلم تطاوعني نفسي إلا أن أزورك وأسمع شعرك وغناء أصحابك.

ديك الجن: على الرحب والسعة دائماً يا أبا نواس.

أبو نواس: (يقترب من ديك الجن ويهمس له) سمعت طرفاً ممَّا جرى بينك وبين والي حمص.

ديك الجن: دعك ممَّا سمعت. فلا أقمتُ وزناً لما قال، ولا خفتُ ممَّا هدد.

أبو نواس: (يضحك ضحكة خفيفة مكتومة) وسمعت هجاءك للخليفة وأعوانه.

ديك الجن: يستحق ويسْتحقون أكثر ممَّا ذكرت.

أبو نواس: ولماذا لا تفعل مثلي يا ابن رغبان؟ أمدح الخليفة كاذباً، وأشرب الخمر بماله صادقاً.

ديك الجن: لا أحب النفاق يا أبا نواس.

أبو نواس: ألا ترى الشعراء يفعلون ذلك؟

ديك الجن: **ما الشعر إلا نفحةُ اللهب**

بالصدق نرعاها على الحِقَبِ

تسري بنا عنفاً فنشربها

صرفاً فتنهانا عن الكذب

أبو نواس: ما أصدق نفسك يا ابن رغبان. أتمنى لو كنت مثلك. لكني أحب الخمر والنساء. ولابدَّ من المال كي أشرب وأتغزل. ألن تُسمِعنا الشعر والغناء؟

ديك الجن: تعالي يا ورد. وأنت يا بكر.

(بكر وورد يقتربان منه)

ورد: ماذا تريد أن تسمع يا سيدي؟

ديك الجن: اسألي ضيفنا.

أبو نواس: أسمعاني ما تشاءان في وصف الخمر من شعر سيدك ديك الجن.

بكر: كما تريد.

(يبدآن الإنشاد أو الغناء)

الغناء : **وحمراءَ قبل المزج صفراءَ بعده**
بدت بين ثوبَيْ نرجسٍ وشقائقِ
حكت وجنةَ المعشوق صرفاً فسلّطوا
عليها مزاجاً فاكتست ثوبَ عاشق

(أبو نواس يصفق طرباً وهو يلهو مع ورد وبكر. لكن ديك الجن يظل مهموماً. أبو نواس يشير بيده بشكل فجائي أن يسكت الجميع. يسكتون بشكل فجائي)

أبو نواس: ما لك يا صاحبي؟

ديك الجن: لا شيء.

أبو نواس: لا أراك على مزاجك. كأنك مطعون في قلبك. هل غدر بك معشوق أم خانك صديق؟

ديك الجن: لا هذا ولا ذاك. فمحبوبتي وردٌ وفية. (ينظر إليها بحب) وأسعد أيامي يوم تقبل أن تتزوجني. (ورد تشهق) وبكرٌ صادق الودِّ أمين. (يلتفت إلى بكر) هل أخطأت في وصفك يا بكر؟

بكر: (يتردد قليلاً) أنت سيد من وصف.

أبو نواس: إذن.. ما الذي عكّر مزاجك؟

(تقترب منهما دنيا)

دنيا: أنا أعرف حالة سيدي وأعرف دواءها.

أبو نواس: ما هي حالته؟

دنيا: مكتئب من والي حمص.

أبو نواس: فما دواؤه؟

دنيا: أن يخرج في نزهة تشرح له صدره.

ديك الجن: أنا أخرج في نزهة؟

دنيا: أترى يا أبا نواس؟ من هذا الكوخ لا يخرج. ألا تعلم أن من أطال الإقامة في مكان واحد غلبه الحزن حتى تظلم منه النفس؟

أبو نواس: كأنك تقولين إن دواءه أن يخرج من هذا المكان.

دنيا: لا بد أن يخرج من هذا المكان. حتى يفرح منه القلب والجنان.

ديك الجن: ومن قال إني أريد الخروج منه؟

دنيا: يجب أن تخرج وتتنزَّه. ألم تسمع قول صاحبك أبي تمام:

وطول مقام المرء في الحي مُخلق

لديباجتيه فاغتربْ تتجددِ؟

ديك الجن: لكني قضيت أجمل أيامي في هذا الكوخ يا دنيا. وما شعرت فيه بالملل.

دنيا: ألا تعرف أن الماء يصبح آسناً في البركة الراكدة، وأنه يصفو ويحلو في النهر الجاري؟

أبو نواس: أحسنت القول يا دنيا. (يلتفت إلى ديك الجن) اسمع كلام الجميلات فعندهن دواء المعضلات.

ديك الجن: (باستغراب شديد) أتصرين أن أخرج من هذا المكان؟

دنيا: نتمشى على شاطئ الميماس. تشم رائحة الرياحين والورود. وتأخذ معك بكر وورد. أليسا ريحانة قلبك وصفوَ مزاجك؟

بكر: حبذا لو تفعل يا سيدي. من زمان أشتهي أن نتمشى على شاطئ الميماس.

ديك الجن: لكني لا أقدر على الخروج من هنا. أحس كأني ضائع.

ورد: إن كنت غالية عندك، فاخرج بنا يا سيدي.

بكر: أجل يا سيدي. إن لم يكن من أجلي فمن أجل ورد التي تحب رؤية الورد.

(ديك الجن يبدو حائراً)

ورد: هيه. ماذا قلت يا سيدي؟

ديك الجن: بعد سفر ضيفنا أبي نواس نتمشى في نزهة.

أبو نواس: أنا مسافر صباح غد يا صديقي.

دنيا: إذن نخرج مساء غد يا سيدي. وسوف ترى. أنت تروّح عن نفسك. وحبيباك بكر وورد يروحان عن نفسيهما. فإذا عدنا في حالة الانشراح، سهرنا حتى الصباح.

(بكر وورد ينظران إلى بعضهما كأنهما وحدهما. وديك الجن ينظر إليهما بفرح دون أن ينتبه إلى معنى نظراتهما. أبو نواس ينهض مصفقاً)

أبو نواس: والآن نعود إلى ما كنا فيه من الشرب والشعر والغناء.

(تعزف الموسيقى. تخفت الإضاءة. الموجودون يرقصون ويضحكون. منظرهم أشبه بأشباح الموت)

إظلام

المشهد السادس

(على شاطئ العاصي)

(ديك الجن يمشي في المقدمة وهو يحمل زق خمر وسلة الطعام. سيفه معلق على جنبه. وراءه يمشي ورد وبكر وهما يحملان بقية حوائج النزهة)

ورد: نجلس هنا يا سيدي. فالأشجار وارفة والماء رقراق.

ديك الجن: كما تريدان. سأحضر لكما أغصاناً من الريحان تجلسان عليها. ولو استطعت أن أفرش لكما قلبي لفعلت.

(ديك الجن يخرج)

بكر: (يعطيها عقداً من اللؤلؤ) هذا لك يا ورد. هدية من محب إلى محب.

ورد: كيف عرفت أني أحببت هذا العقد؟

بكر: أتذكرين يوم دخلت غرفتي ووقعت عيناك

عليه؟

ورد: لكني لم أطلبه منك.

بكر: إن سكت منك اللسان، فقد تكلم فيك الجنان.

ورد: كم تفهم مشاعري يا بكر.

بكر: لا خير في حب ينقصه التفاهم.

(ورد تلبس العقد. يعود ديك الجن حاملاً بعض أغصان الريحان. يسرعان نحوه)

ورد: هات عنك يا سيدي.

ديك الجن: ما أليق هذا اللؤلؤ على صدرك يا ورد.

ورد: وما أحلى نظراتك يا سيدي.

ديك الجن: من أين أتيت به؟

ورد: لا تسأل يا سيدي.

بكر: الجميل لا يُهدى إلا الجميل.

ديك الجن: (نظراته قلقة) كأني رأيته من قبل. أليس من..

بكر: (مقاطعاً) لا تفسد نزهتنا يا سيدي.

ديك الجن: كما تريدان.

(يفرشون الريحان على الأرض. يهيئون الجلسة بزق الخمر والطعام. يصب بكر قدحاً. وورد تصب قدحاً وتهم بإعطائه لديك الجن. لكن بكر يمسك يدها)

بكر: لن نسقيك يا سيدي حتى تقول فينا شعراً.

ديك الجن: (يتأملهما لحظة ثمَّ يندفع منشداً)

أفديكما من حاملَيْ قدحينْ
قمرين أو شمسين في غصنينْ
وردٌ منعَّمةٌ وبكرٌ فاتن
للناظرين منىً وقرَّةَ عين
وإليَّ كأسَكما فقد مُلئا
تِبراً خلطناه بماء لجين.

(يعطيانه الكأسين. يشرب الأول بشغف. يهم بشرب الثاني يتوقف)

ديك الجن: هل تسمعان؟

بكر: (يتسمع) لا أسمع شيئاً يا سيدي.

ورد: لعلك..

ديك الجن: هس.

(ديك الجن يسحب سيفه استعداداً. يُبعِد بكراً ووردا ًإلى الخلف بقوة وتوتر. يدخل ثلاثة من الملثمين. ديك الجن يسحب سيفه ويهجم نحوهم بغضب وهو يصرخ كمن يستعد للموت. الملثمون الثلاثة يتلقون ضربات ديك الجن. ثمَّ يتراجعون أمامه وهو يلحق بهم خارج المسرح)

(ورد تهجم على بكر وتبكي خوفاً)

ورد: أنا خائفة يا بكر.

بكر: لا تخافي يا حبيبتي.

ورد: ضمني إليك يا حبيبي.

(بكر وورد يتعانقان. يدخل ديك الجن والسيف في يده)

ديك الجن: أتغدران بي يا خائنين؟

ورد: افهمنا يا سيدي.

ديك الجن: وهل الغدر يُفهَم؟

(يهجم نحوهما ليقتلهما يبدو بكر وورد كأنهما مستسلمان لديك الجن. ديك الجن يتوقف عندهما. يرمي السيف من يده)

ديك الجن: الحب لا يُقتَل.

(يدخل الملثمون الثلاثة وراءهم عدة جنود)

الملثم۱: لكن معارض الخليفة يُقتَل.

(يهجم الجنود على ديك الجن كأنهم سيقتلونه. بعضهم يقبض على ديك الجن ويثبته حتى لا يتحرك. بعضهم يقتل بكراً وورد).

ديك الجن: (يصرخ) آه.

(يهم بالتخلص من قيده لكنه لا يستطيع. الملثمون يرفعون لثامهم. الثالث هو أبو المغيث)

ديك الجن: لماذا قتلتم بريئين ولم تقتلوني؟

أبو المغيث: نحن قتلنا أحداً يا فاسق؟ (ينادي) سيدي الوالي. (يدخل الوالي) أمامك قاتل.

الوالي: تقتل جاريتك وغلامك يا مجرم؟

ديك الجن: ماذا تقولون؟

أبو المغيث: هذا مصير الفاسقين. يتحولون إلى مجرمين.

ديك الجن: هم الذين قتلوا جاريتي وغلامي.

الوالي: (يلتفت إلى أبي المغيث) أصحيح ما يقول؟

أبو المغيث: نحن نشهد أننا رأيناه وهو يقتل الجارية والغلام.

الوالي: وأنا أقبل شهادتكم.

ديك الجن: هؤلاء هم القتلة.

الوالي: أتفتري الكذب على غيرك يا قاتل؟

ديك الجن: سأخبر الناس أنكم قتلتم بريئين.

الوالي: ستكون شهادة الوالي ورجاله وهذا الرجل الطيب التقي (يشير إلى أبي المغيث) مقابل شهادة رجل فاسق. فمن يصدقون؟ (يلتفت إلى الجنود) جروه إلى السجن. وغداً أرسل إلى أمير المؤمنين أن الشاعر الفصيح سيخرس تحت وطأة حد السيف. فالقصاص عقوبته.

الملثم ٣: عندي ما هو أقسى من القصاص يا مولاي.

الوالي: ما هو؟

الملثم ٣: القهر والحسرة والغضب.

الوالي: لكنه قاتل كما تقول.

أبو المغيث: دعه لما جنت يداه. (يقترب من ديك الجن وينحني فوقه) ألم تقل إنك صامت من القهر؟ الآن تعرف طعم القهر يا شاعر المجون. (إلى الوالي) سيدي الوالي. لتكن هذه عقوبته.

ديك الجن: اقتلوني بعدما قتلتم غلامي وجاريتي.

اقتلوني.

أبو المغيث: بل نترك لك ذكراهما بعدما أحرقنا قلبك. تتعذب طوال امتداد الليالي، وتتألم طوال إشراقات النهار.

(يتركونه ويقفون في طرف المسرح. ديك الجن ينحني فوق الجثتين. يحمل عقد اللؤلؤ عن صدر ورد ويبكي.

في طرف المسرح الآخر تقف دنيا مراقبة صامتة)

أبو المغيث: (إلى الوالي) أترى يا سيدي؟ سيظل في العذاب والحزن أبد الدهر. وسوف يهجره الناس كأنه الحشرة التي لقبوه بها.

الوالي: وماذا أقول للخليفة؟

أبو المغيث: قل له إنه لا حاجة لمدح رجل صار قاتلاً بعد أن كان فاسقاً وزنديقاً. فالشعراء المادحون حوله كثيرون.

الوالي: وإن غضب الناس له؟

أبو المغيث: القاتل لا يغضب له أحد. فأعْلِنْ أنت في الناس أنه قتل جاريته وغلامه. والقاتل يُهمل شأنه فلا يبقى منه إلا جريمته. ولن يبقى من

ديك الجن إلا أنه قتل أحب الناس إليه.

الوالي: ولكي لا يبقى منه إلا جريمته، فسوف آمر أن يُحرقَ ديوانه وأن يُهمَل شعره.

أبو المغيث: فلا يسمع به أحد بعد اليوم. ولا يتذكر أحد هجاءه للخليفة.

الوالي: اذهب إلى بيته وخذ ما فيه. فهو حلال لك لأنك وريثه. (يقترب الوالي من ديك الجن) ستبقى وحدك على شاطئ الميماس حتى نهاية عمرك. هذا جزاء من لا يمدح الخليفة.

(يذهبون. دنيا تقترب منه حاملة مجرفة وتقف عند رأسه).

دنيا: وقع المقدور يا سيدي.

ديك الجن: أنا الذي قتلتهما يا دنيا. أنا الذي قتلتهما.

دنيا: لا تلم نفسك يا سيدي. فأنت لم تقتل أحداً.

ديك الجن: لكنني السبب في قتلهما.

دنيا: انس ما جرى وعد إلى أحبابك السابقين.

ديك الجن: لا أحباب لي بعد اليوم. سوف أظل على

الحزن مقيماً مهما طال بي العمر.

دنيا (تقترب منه) سأكون معك أمسح جراحك.

ديك الجن: لن يمسح جراحي بعدهما شيء.

دنيا: أنسيت أنهما غدرا بك وأحبا بعضهما؟

ديك الجن: هذا ما يزيد ألمي عليهما. ابتعدي عني.

دنيا: لا تُبعدني عنك يا سيدي. فأنا سلوتك الوحيدة في حياتك الشقية بعد كل ما جرى عليك.

ديك الجن: لا أريد النسيان أو السلوان. بل أريد الهم الدائم والحزن المقيم. لو قتلتهما بيدي، لكنت عاقبت نفسي على الجريمة. لكنهما عوقبا عني فكانا فداء لي. أتجدين جريمة أكبر من هذه الجريمة؟

دنيا: الجريمة من فعل غيرك.

ديك الجن: لكنني أحمل وزرها. أحمل وزرها.

دنيا: لا تعذب نفسك يا سيدي.

ديك الجن: أنا السبب في مقتلهما فكأنني قاتل. ابتعدي عني يا دنيا. ابتعدي.

(ينهض ويأخذ منها المجرفة. يبدأ بحفر قبريهما)

دنيا: (تهمس لنفسها) كأني لم أحصد ممَّا زرعت إلا الشقاء. ماذا أفعل بك؟ أهجرك؟ لا أستطيع فأنا أحبك. أقتلك؟ لا أستطيع؟ أخلصك من العذاب الذي تستحقه؟ ليتني أستطيع. سأبقى معك وأترك للأيام ما أفعله بك.

(تساعده على الحفر) إظلام

المشهد السابع

(المكان نفسه وفيه قبران ديك الجن جالس بينهما)

ديك الجن: (ينشد الشعر في حالة من الوجد)

نديمُ عيني بعدك الكوكبُ

ولوعةٌ أناتها تُسكبُ

ودمعةٌ في الخد مسفوحةٌ

كأنها من جمرة تُلهِب

إن تكن الأيام قد أذنبت

فيك فإن الدمع لا يذنب

(تتراقص الإضاءة فوقه. ينهض ويدور كأنه في حالة من الخبل والجنون)

(من بعيد يتلامح شبح بكر وورد)

ديك الجن: ماذا ترى عيني؟ كأني أرى محبوبِّي في الظن.

يا بكر أنت الوهم أم غصُنٌ

من الحقيقة فاقترب مني

يا ورد هل أنت هنا؟

أم أنني فرد من الجن

(يردد البيتين الأخيرين في حالة من الهيستيريا تدخل دنيا)

دنيا: جن سيدي. جن سيدي.

ديك الجن: (يصرخ) لا تقتربي من محبوبي ومحبوبتي. هيا يا بكر. هيا يا ورد. أسمعاني الشعر والغناء.

(تلتهب الإضاءة بحيث تصبح حفلة صاخبة. يبدأ بكر وورد بإنشاد الشعر أو غنائه)

بكر وورد: **محبوبتي إن حُلَّ عِقدُ إزارها**

فغصنٌ وأما قدها فعجيبُ

لها القمر الساري شقيقٌ وإنها

لَتطلُع أحياناً له فيغيب

أقول لها والليل مُرخٍ سدولَه

وغصن الهوى غض النبات رطيب

لأنت المنى يا زينَ كل مليحة

وأنت الهوى أُدعى له فأجيب

(يستمر الغناء بينما يتهادى ديك الجن في الوهم)

ستار